

الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا 647م

أولاً: أصل العرب:

ينتسب العرب إلى سام بن نوح، ولذلك فهم الساميون خرجوا من بلاد الرافدين إلى الجزيرة العربية، وينقسمون من ناحية الأصل إلى قحطانيين وعدنانيين .
أما القحطانيون فهم سكان جنوب شبه الجزيرة أو ما يسمى حالياً اليمن وعمان وكل إمارات الجنوب العربي. وكانوا أصحاب ملك واسع وحضارة زاخرة حتى أواخر القرن السادس قبل الميلاد.
وأما العدنانيون فهم سكان الشمال ورثوا أبناء عموماتهم القحطانيون في الجنوب" (1) وينقسم العرب إلى ثلاث أقسام وهم:

1- العرب العاربة:

" أما العرب العاربة فيقال لهم أيضاً العرب البائدة لأنهم انقرضوا جميعاً وبادوا ولم يبق منهم إلا أخبارهم، وهم تسع قبائل على ما قيل شهرها:

عاد و ثمود و طسم و جدیس و جرهم وقد جاءوا من بابل إلى بلاد الرافدين في عهود قديمة جداً" (2)

2- العرب المستعربة: وهم القحطانيون الذين تعلموا اللغة العربية على يد العرب العاربة البائدة، حيث كانوا يتكلمون أصلاً اللغة الكلدانية العراقية، ومن أشهر زعمائها (عبد شمس الملقب بسبأ والذي أسس مدينة يارب وسدها الشهير و قد شهدوا حضارة متقدمة بالنسبة لذلك الزمن، وقد بلغ نفوذهم إلى الجزيرة العربي لما ضعفت حل محلهم الدولة الحميرية قبل مجيء العدنانيون الذين أخضعوا كل الجزيرة العربية تحت سيطرتهم.

3- العرب المستعربة: "ويطلق على العدنانيين العرب المستعربة، وينتسبون إلى عدنان الذي يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وسموا مستعربة لأنهم امتزجوا بالقحطانيين في اللغة والنسب. وهم قبائل كثيرة سكنت بلاد الحجاز أولاً ثم توزعت إلى نجد والعراق واليمامة وبادية الشام وكانوا رحالين ينتقلون في

(1): يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 71

(2): المرجع نفسه، ص 72.

البادية وراء العشب والكلأ وحيث الماء والصيد باستثناء قبيلة قريش التي كانت تسكن المدن مثل مكة وجدة والمدينة⁽¹⁾

ثانيا/ بداية الفتح لإسلامي:

1- عهد عمر ابن الخطاب:

لما فتحت مصر على يد عمر ابن عبد العاص سنة 20هـ عين واليا عليها، وبعدها بسنة أي 21هـ الموافق لـ 642م أمر عمر ابن العاص قائده عقبة بن نافع بفتح كل من برقة وطرابلس، وقد نجح عقبة ابن نافع بعقد صلح مع الأولى مقابل دفع الجزية، وفتح الثانية عنوة. هذا ما شجع والي مصر عمر ابن العاص بأن يستمر في فتح باقي شمال إفريقيا إلا أن عمر ابن الخطاب رفض ذلك، إشفافا على جند المسلمين من الصعوبات التي قد تقابلهم جراء وعورت أراضي شمال إفريقيا المتكون من جبال وغابات وأنهار، "وهذا ما لم يصادفونهم في فتوحاتهم في بلاد الشام والفرس ومصر، وهذا بالإضافة إلى خوف عمر بن الخطاب من المصير المجهول الذي ينتظرهم في هذه الأقطار النائية، عن الخلافة واشفاقا عليهم من التغافل في إفريقيا"⁽²⁾.

2- عهد عثمان بن عفان:

في عهد عثمان بن عفان لما كان خليفة على السلمين، وكل أمر ولاية مصر إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح (وهوشقيق عثمان ابن عفان من الرضاعة) بعد عزل عمر ابن العاص، وفي سنة 27هـ الموافقة لعام 647م استأذن عبد الله بن أبي سرح خليفة المسلمين فتح شمال إفريقيا فأذن له، وأمده بجيش قوامه 20 عشرين ألفا منهم كثير من الصحابة منهم العبادلة السبعة وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سراح، عبد الله بن الزبير بن العوام، عبد الله بن جعفر، عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عمر بن العاص.

مضى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح اتجاه شمال إفريقيا (تونس الحالية) حتى وصل سبيطلة (وسط تونس)، حيث لقي القائد البيزنطي (جرجير) الذي يقود جيشا قوامه 120 مائة وعشرين ألف جندي.

(1): المرجع السابق، ص72

(2): عمار عمورة، مرجع سابق، ص57

وأمام هذا الفارق الكبير بين الجيشين، لم يجد المسلمون، بدا سوى الانقضااض على القائد البيزنطي وقتله فيتفرق شمل الجيش البيزنطي ويسهل النيل منه، وهكذا جرت الأمور، حيث انطلقت فرقة من أشجع جند الجيش الإسلامي اتجاه القائد جرجير، يشقون الصفوف حتى وصلوا إليه، حينها رماه الزبير بن العوام برمحه فأرداه قتيلا، فأصيب الجيش الروماني بهلع كبير وفوضى عارمة، وبذلك نجحت خطت المسلمين في النيل من الجيش البيزنطي، مما اضطر هذا الأخير إلى إبرام صلح مع المسلمين مقابل دفع الجزية. وعاد عبد الله بن أبي سرح إلى مصر مكثفيا مما حققه من انتصار.

3- عهد معاوية بن ابي سفيان:

لما قتل عثمان بن عفان على يد مجموعة من الخارجين الظالمين وقعت أكبر فتنة عند المسلمين، حيث صار النزاع على الخلافة بين علي رضي الله عنه وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه الذي رفض مبايعة علي رضي الله عنه حتى يثار لقاتلي عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وقد كان واليا على العراق، حيث أفضى هذا الخلاف إلى موقعة صفين، حيث التقى الجيشان على ضفاف الفرات سنة 37 هـ / 657م وقد كانت الغلبة لصالح علي رضي الله عنه لولا تظن معاوية وقادته إلى حيلة تقيهم شر الهزيمة، حيث أمروا الجنود بحمل المصاحف فوق السيوف ويدعون للاحتكام إلى القرآن الكريم، فخرجت جماعة من جيش علي ترفض التحكيم وتطالب بمواصلة القتال، إلا أن علي رفض طلبهم، فصارت هذه الجماعة تقاتل كلا من علي ومعاوية رضي الله عنهما، وسميت هذه الجماعة بالخوارج وقد تفرع منها عشرين فرقة أهمها ثلاثة: الإباضية وهم أصحاب عبد الله ابن إياض، والصفيرية وهم أصحاب زياد بن الأصفر، والأزارقة وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق وكل طائفة منهم تختلف عن الأخرى في المذهب.

"حيث من بينهم من كفر الخليفة علي وأصحابه وهم فرقة الأزارقة إلا أنهم كلهم يرون أن الحاكم يجب أن ينتخبه المسلمون بقطع النظر عن نسبه وأصله وعن طريق الجنود الفاتحين المعتنقين لهذه الأفكار انتشر المذهب الخارجي وخاصة الإباضي والصفري في المغرب العربي ابتداء من سنة 117هـ / 735م⁽¹⁾ ولازال الصراع قائما حتى آل الأمر إلى الحسن بن علي حيث تنازل عن الخلافة لمعاوية. وانطفت الفتنة بين المؤمنين، إلا أنه لما آلت الخلافة إلى معاوية 41هـ - 661م صار الحكم وراثي بعد ما كان يقوم على مبدأ الشورى وبذلك أوصد باب الخلافة الراشدة.

(1): عمار عمورة، مرجع سابق، ص 58

ولما استقر الوضع، علم معاوية بأن شمال إفريقيا قد أحتل من جديد من طرف البيزنطيين، فأرسل عشرة آلاف فارس سنة 45هـ / 665م، ولما وصل جيش المسلمين إلى تونس هزموا البيزنطيين ولاذ جيش بيزنطا بالفرار إلى جزيرة صقلية وتمكن جيش المسلمين من فتح العديد من المدن التونسية مثل: بنزرت وسوسة وجربة، وعاد الجيش الإسلامي من جديد إلى مصر واكتفوا بالانتصارات، إلا أن هذا يعتبر تمهيد لفتح كل شمال إفريقيا مستقبلاً.

وبعدها أي سنة 50هـ / 670م عين الخليفة معاوية ابن أبي سفيان القائد التابعي عقبة بن نافع (ولد أثناء حياة الرسول ولم يشارك في الجهاد إلا بعد وفاته) واليا على إفريقيا يآتمر بإمارته حوالي ثلاث آلاف فارس من بينهم برابرة. وأسس مدينة القيروان حيث أدرك هذا الأخير أن فتح شمال إفريقيا وما جاورها لا يتم إلا بالإستقرار في أراضيها .

استدعى معاوية ابن أبي سفيان عقبة ابن نافع سنة 55هـ و عين مسلمة ابن مخلد الأنصاري واليا على مصر والشمال الإفريقي، وهذا الأخير عين مهاجر بن دينار حاكما على إفريقيا عام 55هـ / 674م فأسس مهاجر بن دينار مدينة جديدة سماها (تيكروان) وأهمل مدينة القيروان.

"اتجه بعد ذلك إلى الجهات الغربية حيث الجزائر الحالية ومر بمدينة بسكرة ونواحيها وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59 (678م) - واتخذ مدينة ميلا مركزا لعمليات الحربية، ثم تقدم إلى جهات تلمسان وفي طريقه إليها حفر عددا من الآبار للشرب والسقي ما تزال تدعى إلى اليوم عيون أبي مهاجر وظفر بخصمه كسيلة أمير الأوراسيين"⁽¹⁾.

وقد أسلم كسيلة على يد مهاجر ابن أبي دينار والذي كان له دور كبير في قتل عقبة بن نافع، نعرف ذلك بعد حين.

4- عهد يزيد بن معاوية:

أعيد عقبة بن نافع إلى الحكم لولاية (إفريقيا) عام 62 هـ (682م) وجاء معه زهير ابن قيس البلوي حيث أن هذا الأخير استخلفه عقبة على القيروان بعد تجديدها، ومضى عقبة لتمدد فتوحاته ، ففتح بغايا قرب (خنشلة) وحارب الروم في قلعة لامبيس، واستولى على إقليم الزاب، وتيهرت، وبلاد تلمسان حتى وصل إلى مدينة طنجة.

(1): يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 86

وبعدها أرسل عقبة جيشه ليسبقه إلى القيروان ولم يبقى معه إلا ثلاثة مائة (300) جندي من بينهم مهاجر بن دينار أسيرا، بعد أن فر كسيلة من حصن المسلمين وقد أسر عقبة كلا من مهاجر وكسيلة لحاجة في نفسه (يقال أنه بسبب إهمال مهاجر للقيروان وإنشاء مدينة جديدة وبسبب أيضا غطرسة وكبر كسيلة).

وعند عودة عقبة رفقة جنده، تعقبهم كسيلة بعد أن جمع لهم الرجال والعتاد واعترض طريقهم عند (تاهورة) بلاد الزاب جنوب جبال الأوراس قريبا من بسكرة فاستبسل عقبة ومن معه في الدفاع عن أنفسهم حتى استشهدوا جميعا، وكان ذلك سنة 682م.

"ودفنوا هناك وبني على قبورهم مساجد وقرية ما تزال إلى اليوم تدعى قرية (سيدي عقبة) وتعتبر أكبر مزار تاريخي إسلامي في الجزائر"⁽¹⁾.

وبعدها توجه كسيلة إلى القيروان وهزم زهير بن قيس البلوي وأخرجه من القيروان، واضطر زهير بأن يتحصن ببرقة سنة 65هـ - 684م.

5- عهد عبد الملك بن مروان:

لما تولى عبد الملك ابن مروان خلافة المسلمين، أرسل مددا من الجند إلى زهير بن قيس البلوي سنة 69هـ - 688م (أي بعد أربعة سنوات من خروجه إلى برقة)، ليعيد الكرة على الكسيلة ويستعيد القيروان منه، فكان ذلك، فدخل القيروان وهزم كسيلة، وتبعه بعد أن فر إلى جبال الأوراس وقتله هناك، هو وأصحابه.

"ثم استعفى الخليفة من ولايته وقفل راجعا إلى الشرق ولما اقترب من شواطئ برقة سمع برسو بعض السفن البيزنطية هناك فجمع ما كان معه من الأصحاب، وهم في قلة، واشتبكوا مع قواتها حتى استشهدوا جميعا"⁽²⁾.

بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي خلف مكانه حسان بن النعمان إذ زوده الخليفة عبد الملك بن مروان بجيش قوامه 40 ألف جندي "ودخل حسان إفريقية عام 74هـ (693م) ومضى يسترد مدنها واحدة تلو الأخرى، فدخل القيروان ثم سار إلى قرطاجنة فحاصرها وقاتل الروم الذين كانوا متحصنين بها وهدم

(1): يحي بوزيد، مرجع سابق، ص88

(2): المرجع نفسه، ص88

أسوارها وفر بها فلم يبقى للرومان أي أمل إلا الفرار منها فتم فتحها. كما أنزل بهم الهزيمة بمدينة بنزرت التونسية وكذا بباجة في حين فرت البقية إلى مدينة بونة (عنابة) الجزائرية⁽¹⁾.

ثم توجه حسان بن النعمان إلى امرأة تزعمت البربر تدعى الكاهنة، وقد أساءت معاملة الكثير من النصارى والأفارقة، فاستغاثوا بالمسلمين، فلبى حسان نداءهم وضارت معركة حاسمة في بلدة مسكيانة، انهزم فيها المسلمون وتراجعوا إلى برقة.

بعدها أخذت الكاهنة بسياسة الأرض المحروقة فأحرقت الأراضي وخربت العمران واتفقت المزارع أملا منها، بأن لا يعودوا المسلمين مرة أخرى، اعتقادا منها أنه ما جاء بالمسلمين هو خيرات البلاد وليس دعوة للدين الحق.

إلا أنه بعد ثلاث سنوات وبعد أن زود عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان بمدد من جند دمشق عاود الكرة على الكاهنة وهزمها، خاصة بعد سخط الأهالي عليها بسبب سياسة الأرض المحروقة التي مارستها.

"وكان ذلك من أسباب انهزامها في جولة حسان الثانية عندما جاءت الإمدادات من الشام عام 81هـ— (700م) وأصبحت الظروف كلها في صالحه ضد الكاهنة، فاتجه إلى معاقلها مصمما القضاء عليها مهما كلفة ذلك من ثمن، ورحب به الأهالي في كل المناطق التي مر بها وأمدوه بالأموال وزدوه بالأخبار فتأكدت الكاهنة من مصيرها واستأمنت لولديها من حسان ثم واجهته في معركة فاصلة انهزمت فيها وتراجعت إلى الورا ولاحقها حتى تمكن من قتلها في 82هـ (701م).... وعين أكبر أبنائها حاكما على قومها حتى يبعث في نفوسهم روح الثقة الاطمئنان"⁽²⁾.

تم أخذ حسان في استصلاح ما أفسدته الكاهنة، فأصلح الأراضي وشيد العمران، ووضع أساس جامع الزيتونة وأعاد من جديد مسجد القيروان، وكان أول من سك العملة في المغرب العربي، وأعاد تحصين قرطاج والقيروان.

(1): أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، من كتاب صالح فركوس، مرجع سابق، ص 74

(2): يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص 90

6- عهد الوليد بن عبد الملك:

"أوفد الوليد عبد الملك القائد الإسلامي موسى بن نصير، بعد أن تم استدعاء حسان عام 85هـ (704م)، فقام بفتح زغوان بتونس ثم فتح عاصمة الزاب "طنجة" وأخضع قبائل هوارة و زناتة و كتامة، ثم اتجه نحو المغرب الأقصى فوصل طنجة... كان موسى بن نصير قد عين طارق بن زياد حاكما على مدينة طنجة"⁽¹⁾.

بعدها أرسل موسى بن نصير طارق ابن زياد من أجل فتح الأندلس بجيش قوامه 12 ألف جندي، سبعة آلاف منهم بربر وتم فتح الأندلس بإذن الله وقد كان للبربر دور كبير في هذا الفتح المبين.

ومنذ هذه الفترة دخل المغرب العربي الكبير كله في الإسلام وانتشرت دعوة التوحيد بين البربر وأخذوا يتعلمون اللغة العربية كمفتاح أساسي لفهم كلام الله من خلال كتابه المبين. ولم يعد البربر يرتدون عن دين الحق، وفوق ذلك أصبحوا مدافعين عن الإسلام و صاروا مستعدين بأن يقدونه بالنفس والنفيس، ولم تكن تلك التوترات والثورات التي قامت في المغرب العربي الكبير، سوى تعبير عن امتعاضهم ورفضهم للحكام الذين كان يجورون عليهم، أو بسبب تعصب بعضهم لمذهب على حساب مذهب آخر بداية من ظهور الخوارج في المغرب العربي الذين وجدوا أنفسهم في هذه المنطقة بعيدين عن طول الحكام الأمويين.

(1): صالح فركوس، مرجع سابق، ص76

الدولة الرستمية: 160هـ (776م) - 296هـ (909م)

أولاً/ نشأتها:

مؤسس الدولة الرستمية هو عبد الرحمان بن رستم، من أصل فارسي (إيراني) ولد في العراق "نشأ في القيروان، فتلقى من علمائها نصيباً وافراً من العلم والمعرفة، وفيها أيضاً اتصل بالدعاة الإباضيين انتقل إلى البصرة عام 135هـ، حيث أخذ الفقه الإباضي وتشبع بمبادئه واجتهد فيه على يدي شيخ الإباضية (أبو مسلم بن أبي كريمة) حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي إلى إفريقيا"⁽¹⁾.

لما حل في إفريقيا، وجدها تتأجج بالتوترات والثروات، مما سمح للخوارج من احتلال مدينة طرابلس سنة 140هـ / 757م .

"وعقدوا الإمامة لأبي الخطاب، ومن ثم سار أبو الخطاب حاكم طرابلس إلى القيروان لمحاربة الورفجوميين الذين كانوا على المذهب الصفري وذلك بسبب ما ارتكبه من جور في أهل القيروان، ودارت بينهم حروب عنيفة انتهت بانتصار الإباضيين، ولما دخل أبو الخطاب القيروان سنة 141هـ / 758م عين عبد الرحمان بن رستم الإباضي والياً، ودام حكمه أربعة سنوات"⁽²⁾.

ثم رجع أبو الخطاب إلى طرابلس لمواجهة الجيش العباسي وقد هزم أكبر قادتها هما العوام بن عبد العزيز البجلي ومن بعده القائد أبا الأحوص عمر بن الأحوص سنة 142هـ / 759م. حينها أمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور القائد الباسل محمد بن الأشعث بالخروج للقضاء على أبي الخطاب واستعادت طرابلس والقيروان إلى حضيرة الخلافة، فكان ذلك، وهزم محمد بن الأشعث الجيش الإباضي في طرابلس وقتل أبا الخطاب.

في هذه الأثناء، لبي عبد الرحمان بن رستم النجدة، وتوجه لمساعدة الجيش الإباضي. إلا أنه في طريق ذهابه وصل نبأ انهزام الجيش الإباضي ومصرع قائده، حينها رجع إلى القيروان إلا أن سكانها منعه من دخولها وتحصنوا بداخلها، خوفاً من بطش العباسيين.

(1): الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات كتاب المشايخ بالمغرب، من كتاب صالح فركوس، مرجع سابق، ص 80

(2): عمارة عمورة، مرجع سابق، ص 70، 71.

بعدها توجه عبد الرحمان بن الرستم إلى الجزائر وتحصن بجبل (سوفجج) المنيع هروبا من الجيش العباسي، إلا أن محمد ابن الأشعث تبعه إلى هناك، و حاصره مدة من الزمن، ولما يئس هذا الأخير من النيل منه عاد أدراجه .

بعد أن نجا عبد الرحمان بن رستم من الجيش العباسي، وأمن على نفسه وأصحابه توجه إلى قبيلة لماية ولما نزل على قبيلة لماية التي كانت تدين بالمذهب الإباضي تبنى سكانها أفكاره والتقوا حوله وبدعوا في تأسيس دولتهم الإباضية، واختاروا منطقة - تيهرت لجودة مناخها وخصوبة تربتها ووفرت مياهها⁽¹⁾.

وأول ما قد شرع فيه عبد الرحمان بن رستم عند اختيار تيهرت عاصمة له، هو بناء مسجد الجامع، اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، ثم تفرغ لبناء البيوت والأسواق وباقي المرافق الأخرى.

وقد وصف عبد الرحمان بن الرستم بالزهد والورع و غزارة العلم وسعت الفكر، ونظرا لهذه الصفات التي اشتملت عليها أخلاقه أدى ذلك إلى ترشيحه ليكون قائد ومؤسس أول دولة قامت في الجزائر خارج الخلافة الإسلامية الشرقية، وأخذ الإباضيون من المشرق والمغرب ومن كل حذب وصوب ينزلون بتيهرت عاصمة الدولة الرستمية.

ثانيا/ خلفاء الإمام عبد الرحمان بن رستم:

- الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان 171هـ / 787م

- الإمام أفلح بن عبد الوهاب 190هـ / 805م

- الإمام أبو بكر افلح 240هـ / 854م

- الإمام أبو اليقضان بن الأفلح 241هـ / 855م

- الإمام أبو حاتم يوسف بن أب اليقضان 281-282هـ / 894-895م

- الإمام اليقضان بن أبي اليقضان 294هـ / 906م

سقطت الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ / 909م

(1): المرجع السابق، ص 71

"الإباضيون فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن اباض، وكانوا من قبل شيعة الإمام علي وجنده، ثم انشقوا عنه بعد قبوله للتحكيم في معركة صفين. بالرغم من أن الإباضيين يصنفون ضمن قائمة فرقة الخوارج، إلا أن مذهبهم يختلف عن الصفوية والأزارقة المعروفين باستحلالهم لأموال ودماء المسلمين. فالإباضيون من المعتدلين الوسط"⁽¹⁾.

وهذا ما سمح لهم بالاستمرار إلى يومنا هذا والتعايش مع المجتمع الجزائري.

أما حكم السياسي فيقوم على أساس الشورى، فالشورى مذهبهم في اختيار حاكمهم، ويطلق عليه اسم الإمام، يأترون بأمره وينتهون بنهيه، ما احتكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله، وينشقون عنه إذا لم يلتزم بذلك. يعترفون بشرعية الخلافة الراشدة ويطبقون الشريعة الإسلامية وقيمون الحدود.

"يسير الإمام أمور الدولة بمساعدة وزيرين وقاضي وصاحب بيت المال وصاحب شرطة ومحتسب، هذا بالإضافة إلى مجلس الشورى المشكل من شيوخ القبائل، أما الولايات البعيدة عن تيهرت فكان يسيرها ولاية"⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى الشكل الحكومي الذي تقوم عليه الدولة الرسمية، كونه يقوم على أساس الشورى في اختيار حاكمهم أو إمامه، حيث يرشح إلى هذا الأمر الأقدار والأجدر والأكفأ وممن يتصفون بصفات خلقية وفقهية وعلمية عالية، إلا أن واقعهم يفند ذلك فقد كان الحكم الرستمي حكم وراثي، وأئمتهم المتعاقبون خير دليل على ذلك، فكلهم من أبناء وأحفاد عبد الرحمان بن رستم.

رابعاً/ الحياة الإجتماعية :

" كان المجتمع الرستمي يتكون من طبقة الأغنياء والطبقة المتوسطة من الحرفيين والمزارعين والعبيد السود، وضم مجتمعهم المسامح مختلف الأجناس والأديان من بربر وعرب وفرس ومسيحيين ويهود، وكان

(1): عمارة عمورة، مرجع سابق، ص 77

(2): المرجع نفسه ، ص78

من بين السكان أيضا جنود من الجيش الأغلبى الذين لجأوا إلى تيهرت جراء وقوع خلاف بينهم وبين أمير القيروان، فانخرطوا في الجيش الرستمي⁽¹⁾.

وقد اتصف المجتمع الرستمي بأنه مجتمع مسالم، وكانت تربط بين أفرادهِ روابط التضامن والتآزر والتكافل، وكانوا ينتصرون للمظلوم ويضربون على يد الضالم.

وكانت تيهرت عاصمة الدولة الرستمية، محصنة بأسوار يصعب دخولها إلا عن طريق أبواب متينة، وقد بلغ امتداد الدولة الرستمية من مدينة الزاب حتى تلمسان وضمت إليها مجموعة من المدن، تنس ومليانة والشلف ووهران ومستغانم ومعسكر وجزء من تلمسان.

خامسا/ الحياة الثقافية:

1- ميدان العلم والتعليم:

كانت الدولة الرستمية شغوفة بالعلم، وتولي مرتبة عالية للعلماء. حرصت على تدريس الأطفال صغارا عل الشريعة الإسلامية وتحفيظهم لكتاب الله وتعليمهم السيرة النبوية وشرح السنة الطاهرة.

كما حرصت على انتقاء المعلمين فلا يتولى هذه الوظيفة إلا من اتصف بغزارة العلم والأخلاق الحميدة، ومن وافق علمه عمله، وكان على قدر كبير من الورع والتقوى والزهد حتى يكون قدوة لمريديه.

وقد انقسم التعليم إلى ثلاث مراحل :

- المرحلة الابتدائية: وهي منتشرة في سائر مدن الدولة الرستمية، يتلقى الأطفال التعليم بشكل مجاني، حيث يحفظون القرآن عن طريق الألواح ويتعلمون أيضا الضروري من الفقه فضلا عن ركوب الخيل.

- المرحلة الثانوية: اذا استوفى التلميذ المراحل الابتدائية وأراد الازدياد في العلم والتخصص في أحد فروعهِ، انتقل إلى مساجد تيهرت أو مساجد (شروس)عاصمة جبل نفوسة التابعة لها، حيث تتخصص هذه المرحلة في دراسة العقيدة والأدب وذلك بأخذه من المشايخ أو عن طريق الكتب.

- مرحلة التعليم العالي: إذا بلغ الطالب هذا المستوى فهو يتبحر في سائر العلوم المختلفة، كعلم الكلام وعلم الأموال والتفسير والفقه وغيره من العلوم.

(1): المرجع السابق ، ص80

"وقد أنشأ الرستميون مكتبة عظيمة تعرف بالمعصومة تشمل على كتب قيمة في مختلف المذاهب والتاريخ والعلوم الرياضية وغيرها، أحرقها الشيعة عند استلائهم على تاهرت⁽¹⁾.

2- المعتقد:

اتخذ الرستميون الإباضية مذهباً، حيث ينسب هذا المذهب إلى عبد الله بن أباض، وهو من الخوارج وأكثرهم اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً والإباضية أبعد الفرق تطرفاً و غلواً.

يمكن أن نحمل أرائهم المذهبية فيما يلي:

- لا يكفرون من خالفهم الرأي، ويعتبرون العصاة كفار نعمة وليس كفار عقيدة.
- تحريم قتل من خالفهم من المسلمين، فدمائهم عليهم حرام.
- يجوز اغتنام السلاح والخيل فقط من الحروب، ولا يجوز اغتنام الذهب والفضة.
- "تجوز مناكحة المخالفين والتوارث معهم، وبهذه الأحكام كانوا معتدلين. أما غيرهم من الخوارج كالأزارقة والصفرية فكانوا متطرفين، وغلاة متعصبين، يعتبرون غيرهم كفاراً مشركين حقيقة، ويحاربوهم حرب استئصال، ولما كانت الجزائر قد عرفت الصفرية والمعتزلة كما عرفت الإباضية"⁽²⁾.

3- مشاهير الفقهاء:

اشتهر في الدولة الرستمية كثير من الفقهاء الإباضيين وقليل من السنيين من أهمهم:

1- الإباضيون:

- أبو الفضل أحمد بن القاسم البزاز.
- الشيخ أبو سهيل: كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري وألف فيه تأليف احترقت في بعض الفتن: وتولى خطة الترجمة للإمامين أفلح بن عبد الوهاب (188 - 238 هـ) ويوسف (281 - 294)⁽³⁾.

(1): عثمان الكعاك، مرجع سابق، ص 139

(2): رابح بونار، المغرب العربي، تاريخه، وثقافته، ط3، دار الهدى، الجزائر، بدون تاريخ، ص 65.

(3): المرجع السابق، ص 67

- أبو عبدة ابن الأعرج:

كان عالم التيهرتيين وقد أخذ عنه ابن الصغير أخبار الرستميين حيث أن ابن الصغير هذا كتب الكثير عن الرستميين عن حياتهم الإجتماعية والثقافية.

-يهود بني قريش:

وهو واضع أسس النحو التنظيري، حاول المقارنة بين العربية و البربرية وله كتاب في ذلك توجد نسخة منه بمكتبة اكسفرد بأنكلترا.

- أبو يعقوب يوسف بن سيلوس السدراتي

- القاضي أبو عثمان سعد بن أبي يونس

- القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ.

- القاضي أبو محمد عبد الله

- عبد الله اللمطي ومحمود بن أبي بكر

إبى جانب الأمراء الرستميون فقد كان معظمهم علماء وفقهاء .

ب- فقهاء المذهب المالكي:

- العالم ابن الصغير

- زكريا بن أبي بكر الغسالي

- العالم الأديب بن هرمة

- قاسم بن عبد الرحمان

- ابراهيم بن عبد الرحمان التنسي

- أبو حفص عبد الجبار بن خالد التيهرتي

- أبو حاتم يحيى بن خالد السهمي

- اسحاق اللمشوني

- الفضل بن سلمة البجائي.